

# العربىة فوشاعرها الإكبر

## أحمد سونى

اللغة العربية

والاستاذ الريحانى

العربية فى المدرسة

من إنشاء

استاذ النسيان شلى

المفتش العام للغة العربية فى ادارة معارف فلسطين

والعضو فى المجمع العلمى العربى فى الشام

obeikandi.com

الهدى

هذا الكتاب

الى

مصر

مصدر العلم والمدنية

وموئل العرب والعربية

اسماء الفناشيبي

obeikandi.com

# كتاب كريم

تشرفت باهداء نسخة من كتابي (كلمة في اللغة العربية) الى حضرة الاستاذ العربي الكبير ، والزعيم العظيم ، القاضي العادل ، المثل الأعلى في الاخلاص والوطنية . رجل الشرق خليفة سعد ، صاحب الدولة (مصطفى النحاس باشا) رئيس الوزراء في المملكة المصرية فأرسل اليّ بهذا الكتاب الكريم :

« حضرة الأستاذ العالم اسعاف النشاشيبي بك

تصفحتُ كتابكم (كلمة في اللغة العربية) الذي تفضلتم بإهدائه إليّ ولقد كان يسرّني أن أستمع لما تلهمون ، وأنتم تُحاضرون ، فقد عرفناكم في مواقفكم الخطائية تهزّون القلوب ، وتُحركون الاحساسات ، وتُثيرون كوامن الذكريات بصوتٍ متهدج يفيض روعةً وعذوبةً ويوحى الى السامعين ما طُبعت عليه من شغفٍ باللغة ، وتفانٍ في إعزازها وإنهاضها وإن فاتني الاستماع فانه لم يفتني أن أنعم بعمانيك وأساليبك فأرى فيهما صورةً نفسك التواقفة ، ومثال همتك الحافزة ، وغيرتك المتهبة وإنّ الأمة التي لا تحفل ببلغتها ، ولا تُعنى بترقيها مقضىٌ عليها بالفناء ومن أجل هذا أحيتي في شخصك رجلاً باراً ببلغته ، كريماً في نخبته وسلامٌ عليك من شاكرٍ لك مُشٍ على عامك »

مصطفى النحاس

obeikandi.com

# العربية وشاعرها الاكبر

## احمد شوقي

هذه خطبة قُلتها في القاهرة - حاضرة المملكة المصرية وحاضرة الأمم العربية اللغوية - في مهرجان حضرة صاحب السعادة « محمد شوقي بك » العضو في مجلس الشيوخ في اليوم الثامن عشر من شهر شوال سنة ثلثمائة وخمس وأربعين بعد الألف ونشرتها كلها من صحف القاهرة الكبيرة ومجلاتها الأهرام وكوكب الشرق والسياسة والمنار الاسلامي<sup>(١)</sup>

وقد كان هذا المهرجان<sup>(٢)</sup> أعظم عيد عربي أدبي عرفته العربية منذ كانت العربية .

(١) أنشر في هذا المقام من أقوال الصحف في الخطبة قول جريدة ( الاخبار ) الغراء لا يجازه : « أما مفتش معارف فلسطين وعضو المجمع العلمي العربي في الشام الأستاذ اسعاف النشاشيبي فقد كان خطيباً من الطراز الأول وكانت خطبته التي جعل عنوانها ( العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي ) فتحاً . فكان فيها مفكراً وباحثاً مع شيء من الصبغة الفلسفية التحليلية ومع قسط وافر من البلاغة والجزالة ودقة التعبير وسعة الاطلاع . ثم ان في خطبته قصائد منشورة قصيرة حساسة ، وبها عاطفة وطنية ثائرة ، ودعوة الى التقدم قوية صادقة

وكان بودنا أن نثبتها برمتها ولكن نسوق منها ما تلمس منه ما وصفناه لك قال »

(٢) لما جئت وصديق صاحب المعالي العلامة الاستاذ محمد كرد علي بك وزير المعارف في الدولة السورية ورئيس المجمع العلمي العربي لتكريم شاعر العربية الاكبر في عيده أهلت صحف القوم بالصاحبين الوافدين عليهم تأهيل القريب الصديق بالقرب الصديق لاكتأهيل صاحب الدار بالضيف . فالقرايات بيننا واشجيات محكمات القوي بحبل شديد

وقد أفضلت جريدة ( كوكب الشرق ) الغراء بهذا القول :

« قدم العاصمة حضرة العالم الكبير الاستاذ محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي بدمشق ، وحضرة الاديب الكبير الاستاذ اسعاف بك النشاشيبي مفتش معارف فلسطين للاشتراك في حفلات التكريم التي ستقام لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء احمد شوقي بك ونزلاً على الرحب والسمة ونحن في غنى عن الاشادة بذكر الاستاذين فانهما فوق شهرتهما التي طبقت الآفاق في عالم

وقد لبث أسبوعاً كاملاً . وكان في رعاية حضرة صاحب الجلالة **فؤاد الاول** ملك مصر ( أظنرها الله على عهده بمرغبتها وأيدها وأيده بروح منه ) ورأسه فقيد العربية والشرق البطل الخالد « سعد زغلول »

واعلم أن الداعى إلى هذا العيد هو ظهور أكبر شاعر عربى بعد أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبى فى هذا الزمان

وأما أن كانت هذه الخطبة ذوب روحى وكانت قد خرجت من أعماق قلبى ( كما نعت كارليل الكلام الذى نعته ) وكانت قد كتبت بدعى ( كما يطلب تشبه ممن يكتب ) وكان فيها صدق صاحبها . واجتافها إخلاص الحب للعربية . وتخلص منسبها إذ أنشأها من كل تقليد فى القول وعبوديته . وافتتحت بذلك الابتداء واختتمت بتلك الخاتمة وكان بينهما هاتيك الأحاديث . فلما أن كانت كذلك روى لى الصادق أن قد صحبها فى مصر عند أهل الفضل التوفيق « وما توفيقى الا بالله » وبمحمد وبقراءه

الادب العربى ، وفوق شخصيتهم البارزة فى المحافل العلمية والادبية فان الاستاذ كرد على كان يصدر المقتبس فى مصر ، وله شهرة كبيرة فى عالم الصحافة المصرية وصدافة شخصية مع معظم كبار أدبائها وشعرائها وعلمائها وكذلك الاستاذ النشاشيبي فان شهرته الادبية فى مصر تكاد تجعله أديباً مصرياً ، وان ننس لا ننس المحاضرات القيمة التى القاها فى الجامعات العلمية فى هذه البلاد لذلك لا عجب ان رأينا الادباء والشعراء وكل ذى مقام فى مصر يتوافدون للتسليم عليهما والترحيب بهما

ونحن من جهتنا نرحب بالادبيين الكبارين وان كنا نعتقد انهما فى بلادهما ، وان ابجائهما العلمية والادبية ان كانت تبدأ فى الشام وفى فلسطين فان صداها يتردد فى هذه البلاد ، فيفوح عبرها فيها ، ويتزود منها كل أديب فى العالم العربى «

## الخطبة

ليست دار العربية رمال الدهناء أو هضبات نجد أو الحجاز أو إقليم الشام أو أرض العراق بل دارها كل مكان ينطق بالضاد أهله ويتلوه فيه كتاب محمد (صلوات الله عليه) قرآؤه . وأقوى القوم عربية بل العرب العرباء أعرفهم بأدب العربية . فأهل مصر إذا هم القبيل المقدم في العربية وهم سادات العرب

وليست اللغة العربية يأبها الراجع من لندن أو من برلين أو من باريس وقد لبث في تلك المدائن حيناً ففتنته مدينة المغاربة السحرة ليست اللغة العربية بلغة بدوية، بلغة صحراوية حتى تعرض عنها إعراضك هذا وحتى تؤثر عليها غيرها حين جهلتها ولكنها لغة سامية سامية (ان كان ثمة سام) قد نشأت من قبل في جنات النعيم عند دجلة ولم تنبت في القفر فتظاً وتضحى وقد جاورت كل ذات مدنية « وإن العلاء تعدى » كما قال أبو تمام، وقد سطر أيوب الصابر بها في ذلك الزمان سفره أو قصيدته ( كما قال فولتير في المعجم الفلسفي ) وسفر أيوب أجمل سفر في التوراة وأيوب العربي كهومير هو من أكبر شعراء العالم

ثم جاءت هذه اللغة مواطن الحجاز (وكم في الهجرات<sup>(١)</sup> من خيرات)

(١) (الهجرات) بسكون العين . والفتح جائز والاتباع وهذا الصحيح اللام فقط

فَشَّاهَا الدهر هنا أفضل تَنْشِئَةٌ وهذَّبَهَا خير تهذيب . وإنَّ البيئَةَ التي أخرجت في الدنيا عظيمَهَا هي التي جَلَّتْ لُغَتُهُ ولن تكون لغة ذلك العظيم لغة محمد إلا عظمية على أن قد تَحَبُّبُ البيئَة بعد طيبها وصلاحها فلا تقذف إلا خَبِيثًا « وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا <sup>(١)</sup> » كما قال الله

ليست العربية بلغة بدوية صحراوية (كما قالوا لك) بل هي اللغة الحضرية كل الحضرية بل هي (ان استكثرت هذا النعت) لغة الأناسية الكاملة الألى سوف يخلفون هذا الإنسان بعد أزمان كما خلف هو قَدَمًا الذين هم أدنى منه من جماعة القرد <sup>(٢)</sup> المحاكية

ولقد دعا العربية من قبلُ قراءُها (وهو القراءان هو القراءان) لتكتب معجزاته فما وهنت <sup>(٣)</sup> ولا عجزت ولا ضافت بل اتسعت وهذا الكتاب وهذه آياته، وهذه الفاظ في المصاحف تتكلم، وهذه معاني الكتاب، الكتاب العبقري كتاب الدهر قد تجسدت وتجسّمت وعهدنا بالمعاني معنوية لا تتجسم . فان تمجز لغة كتب بها إله كتابه عن أن يكتب بها البشر

ولقد دعا العربية في الزمان الأول كل علم وكل فن - ولا كتاب علم واحدًا عند القوم في ذلك الوقت - فلبأهما منها خير نَدْبٍ وخير ظهير

(١) (النكد) الذي لا خير فيه وهو حال . وقرئ بفتح الكاف على المصدر

أى ذا نكد وبسكونها للتخفيف وهو لغة . ويقرأ يخرج بضم الياء . ونكدا مفعول

(٢) في أمثال العرب : أحكى من القرد

(٣) وهن يهن . ووهن يوهن في الأساس : قال سمعت من الاعراب من

يقرأ : (فما وهنوا) بكسر الهاء

وشهد الأقباطُ في بُرْهة<sup>(١)</sup> من الدهر أكداساً من الكتب مكدّسة بل  
أجبالاً . قال غستاف لوبون في فاتحة كتابه مدنية العرب : ( اذا بحث  
الباحث عن آثار العرب في العلم وعمما ابتدعوه علم أن ليس هناك أمة  
ضارعتهم فجاءت في الزمن القصير بمثل صنعم الكبير )

فلو لم يكُ عند العربية عساكر<sup>(٢)</sup> من الثروة في اللفظ والأسلوب  
ما أنفقت هذا الاتفاق على علوم أصحابها وعلوم سواهم . والفقيرُ المسكين  
في الدنيا ( يا صاحب ) لا يقدر أن يعول نفسه بله أن يعون الناس

وقد غرّق التترطوائف من تلکم الكتب في النهر ، وحرّق الاسبانُ  
نفائس منها بالنار ؛ لكن الباقي ( والحمد لله ) كثير . وجلّت العربُ عن أن  
تجرم إجرام ذینک الجیلین<sup>(٣)</sup> . وكذابٌ أتى كذاب من قال إننا حرقنا  
دار كتب في الاسكندرية . وكيف يقرننا القارفون بهذا ظلاماً . وما ندب  
الناس إلى العلم كمثل كتابكم كتاب ، ولا دعا إلى التفكير وحبّ الدنيا  
كزعيمكم محمد زعيم

وأوى الى هذه العربية في آونة<sup>(٤)</sup> كثيرات كل أديب وكل عالم وكل  
شاعر وكل كاتب فبوات معانيهم في أكرمٍ مَبوّأ ، وألبستها أفنّ ثوب  
وقرّتها ( وهي المضيافة وهي الكريمة بنت الكرام ) خيرَ قرى فاجتلى

(١) البرهة ( الزمان الطويل ) (٢) العسكر ( من المال الكثير

(٣) ( الجيل ) الصنف من الناس (٤) ( الآونة ) جمع أوان

الناس من تلکم المعانی السماویات فی هذه الحلل العَدَنِيَّات<sup>(١)</sup> حوراً عیناً  
رضوانیات

فاذا لاقیتم فی عصور المولدين أو فی عصور المتأخرين قبلاً فی القول  
يُمِضُ الأذن أن تسمعه وتقتحمه العين إِمَّا أَبْصَرْتَهُ

وإذا ألفتكم كلاماً بهرجاً<sup>(٢)</sup> قد وهت أعضاده وتشوه تركيبه وفقد  
ذاك الرويق

وإذا وجدتم شعراً سخيلاً قد عميت معانيه وقد استعجم على تاليه  
وإذا سمعتم سجعاً غير طبيعي مُرْتَجِماً زحافاً متدحرجاً قد لعنته العربية  
إذا وجدتم ذلك فلا تلومنَّ العربية ولا تَدْنَقُصْنَهَا ولوموا أمة ضعفت  
فضعف قواؤها وذلت فذل شعرها وحارت في دنياها فاستحار كلامها  
لا تلوموا العربية ولوموا أمة ركضت الى الدَّعة ( قبَّح الله الدعة )  
ثم قعدت

ليس المروءة أن تبيت منعماً      وتظلّ معتكفاً على الأقداح  
ما للرجال وللتنعم انما      خلُقوا ليوم (عظيمة) وكفاح<sup>(٣)</sup>

(١) (المدنيات) الثياب الكريمة وكثر حتى قيل للرجل الكريم الاخلاق عدني  
كما قيل للشئ العجيب من كل فن عبقرى (٢) (البهرج) الردىء . ومن  
المجاز كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة (٣) البيتان لأبي دلف  
القاسم بن عيسى من قواد المأمون والمعتصم والمشهر بشجاعته وعصبيته العربية حين  
ضعفت هذه العصبية ولم تجد من أنصارها إلا مثله ومثل احمد بن أبي دؤاد . وقد  
أراد الافشين التركي قتل أبي دلف لعربيته وشجاعته فألقه ابن أبي دؤاد وقد أورد  
حكاية نجاته ابن خلکان عند ذكر احمد هذا وهي حكاية عجيبة

« والحركة ( كما قالوا ) ولود والسكون عاقر » وقد قال أبيقور : أى معنى للكون بالسلم بفقدان الحركة . ولام هذا الحكيم ( المظلوم والله بتلك التهمة <sup>(١)</sup> ) هومير حين سأل الآلهة أن تصطليح كى نزول الحروب اذا المرء لم يغش الكريهة أو شكت

جبال الهوينا بالفتى أن تقطعاً <sup>(٢)</sup> وفريدريك نتشه ، يرى أن عمل الرجال إنما هو القتال وعمل النساء هو تمريضُ الجرحى ولا عملَ لهما غير هذا

وليس القصد يا بُنى أن تغلب أو أن تغلب بل القصد أن تكون حرب ، أن تكون حركة

ألا أيها الباغى البراز تقربنُ أساقك بالموت الذعاف المقشياً فما فى تساقى الموت فى الحرب سبةٌ على شاربيه فاستقنى منه واشرباً <sup>(٣)</sup>

لا تلوموا العربية ولوموا أمة تعبدها حاكمها وتفرعن <sup>(٤)</sup> عليها و « استجاز كيدها وعدا مصالحها » كما قال ذلك الشيخ فلم تفضب ولم تمش اليه بالسيف . وقد علم أوائلها التاميدُ الثانى لسائد الوحدة العربية طريقة تقويم الملوك

(١) للمفكر الكبير الافرنسى ( جيو ) كتاب جيد اسمه ( ابيقور ) ذكر فيه حال هذا الفيلسوف وحكته . وبرأه من تهمة القوم إياه وبين نوع اللذة التى قصدها الفيلسوف وهى اللذة الفكرية (٢) البيت للعرنى من مقطوعة له فى المفضليات يقول من لم يركب الاهوال تقطع أمره (٣) لقطرى رواها أبو تمام فى حماسته . قالوا : لم تكن الابطال تستحى من الفرار - والفرار عار - من قطرى لفرط شجاعته . (الذعاف) سم ساعة (المقشب) الذى قد خلط به أدوية تقوية له (٤) فى الاساس : فيه فرعنة . قال : وقد يكون مرة ذا فرعنة (٣)

لا تلوموا العربية ولوموا أمة صغرت هممها وتضاءلت عزائمها وتهزعت  
(تكسرت) أخلاقها (يا أسنى على صوادقِ الأخلاق يا أسنى على الأخلاق  
الجيدة) وكان ابنُ الخطاب يقول لها: «لا تصغرن هممكم فاني لم أر أقمداً عن  
المكرمات من صغراهمم» وكان معاوية كاتب وحى النبي يقول :  
«يا قوم ان الله قد اختاركم من الناس وصفاً كم من الأمم كما تصفى الفضة البيضاء  
من خبثها فصونوا أخلاقكم ولا تدنسوا أعراضكم فان الحسن منكم أحسن  
لقربكم منه والقبيح منكم أقبح لبعدمكم عنه»

لا تلوموا العربية ولوموا أمة اجتزأت بالقليل وقنعت من دهرها بالدون  
وأنامها (قتلها) هذا القول الخبيث الأفيوني الكوكبيني «القناعة كمنز  
لا يفنى» وكانت ما ترضى قبلُ من شيء الكثير وكانت ما تقبل حالاً وسطاً.  
لا شيء أو كل شيء كما يريد نتشه

ونحن أناس لا توسطَ بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر<sup>(١)</sup>

وقالوا عليك وسيط الأمور فقلت لهم أكره الأوسط<sup>(٢)</sup>

وكان دستورها في دنياها «القناعة من طباع البهائم» و «عليك بكل  
أمر فيه مزلة ومهلكة» أي يجسام الأمور. وصاحب هذا القول الكريم

(١) البيت لأبي فراس في رائيته الجيدة التي ليس له غيرها وان كان شاعراً كبيراً

(٢) لكشاجم من شعراء اليتيمة وبعد البيت :

إذا لم أكن في ذرى شاهق ولا في حضيض وطىء المطا  
وحاولت في مرتقى هائل توسطه خفت أن أسقطا

هو ابن مصر صاحب رسول الله سيدنا عمرو بن العاص ( سلام الله عليه ورضوانه )

وقد راع تقهقر هذه الأمة وتدهورها حين تقهقرت وتدهورت شاعريها الاكبرين في عهد انحطاطها فانكرا الحال واستفظعها وراح ابن الحسين يقول :

أحقّ عافٍ بدمعك الهممُ      أحدثُ شيءَ عهداً بها القدمُ<sup>(١)</sup>  
وانما الناسُ بالملوك وما      تُفلقُ عربٌ ملوكها عجمُ  
لا أدبٌ عندهم ولا حسَبٌ      ولا عهود لهم ولا ذمُّ  
في كل أرضٍ وطنتها أممٌ      تُرعى بعبدٍ كأنها غنمُ

وقعد رهين المحبسين<sup>(٢)</sup> في كسر بيته يردد مبتئساً

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً      وأننا بعدهم في الأرض قطانُ  
إنّ العراق وان الشام مذ زمن      صفران ما بهما ( للعدل ) سلطانُ

(١) ( العافى ) الدارس الذاهب . في شرح العكبرى : قال الواحدى : أولى ذاهب دارس بيكائك الهمم التي قد درست وذهبت أى انها أولى بالبكاء من الدمن والاطلال ثم ذكر قدم وجودها بالمصراع الثانى

(٢) نشرت لى مجلة ( الكشاف ) فى هذه السنة ( رمضان ١٣٤٦ ) هذا القول وهو خير تعليق لهذه الجملة :

« فقر الأمة العربية وجهلها منذ اعصار صغرا فى عينها قدر الحياة . وتصغيرها قدر الحياة جلب اليها جهلها وفقرها

وقد ساق الى الأمة هذى النكبة إغارة أجيال من المشرق والمغرب فى القديم عليها ومقالات هندية وفارسية ( صوفية ) اجتافت عقائدها

ساس الأنامَ شياطينَ مسلّطةً في كل قطر من الوالين شيطانُ  
من ليس يحفل بخص الناس كلهم ان بات يشرب خمراً وهو مبطانُ  
متى يقوم (زعيمٌ) يستقيد لنا فتعرف العدل أجبالٌ وغيطانُ  
صلوا بحيث أردتم فالبلاد أذى كأنها كلها للإبل أعطانُ

فلم يحفل جمهورها بالحياة احتفال الراغبين فيها . والحياة خليفة جد خليفة بأن  
يحرص الناس عليها

ولم يتأثروا المال الكثير ولم يثرُ عديم

« وإنما العزة للكثير »

و « المال والبنون زينة الحياة »

وعند هؤلاء الأوربيين الخبر اليقين في سلطان الثروتين ، فاسألوا أهل الذكر  
وأجيب داعي القناعة « والقناعة من طبع البهائم » كما قال عربي قديم  
ولم يطلبوا العلم الحق ليساندم في تكاليف الحياة ويحاهرم بحقائقها ويكشف أسرارها  
والحياة ( وحياتك يا أبا العرب ) جديرة أن تعرف . وظن الغبي أن « أبا الجهالة  
في الشقاوة ينعم »

فلم يتهجوا بالكون ، وما في الكون إلا المهج ، ولم يفقهوا معانيه أو بعض معانيه  
وفي إدراك ذلك

« روح وريحان وجنة نعيم »

وصفرت الهمة ، والجهلاء صغار المهمة ، فلم ينشدوا عزم ولم يسابقوا في ميدان  
السؤدد غيرم

وغشيتهم — اذ جهلوا وتهدمت الأخلاق — ادواء الزوال زوال الأمم فتحاسدوا  
وتحاقدوا وتحزبوا وتعادوا

وحسب قطين كل مدينة أن تفرم أدنى ربض في مدينتهم . وخالت كل عترة في  
المدينة أن أمتها انما هي قبيلها . والجاهلون متصارمون متناكرون لا يتحابون  
ولا يتعارفون

وقد خاف قديماً شائد وحدة الأمة من اختلاف كلمة الأمة فقال كتابه :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

فليست اللغة العربية ( والحالةُ في تلَكم المصوَر كما سمعتم عنها ) بمسْتَاهلة  
أن تلام أو أن تعاب . فانها لا بست ضعفاء فلبست كساء ضعف ، وعاشرت  
وضعاء فارتدت شعار ضعة . وما الضعفُ وما الضعة ( والله ) من خلائقها  
ولو استمرت تلك القوة ولو استمرت تلك المدينة ، ولو لم يكن ما كُتب  
في اللوح أن يكون ، لملأت بدائع العربية الدنيا فانها معدن البدائع ومنجم  
كل عبقرى رائع

على أن لغة العلم في العربية ( وللعلم لغة وللأدب لغة ) لم تُضم ضيمَ أختها .  
وما المقاصدُ والمواقف وشرحاها وأقوال ابن الخطيب ومقدمة ابن خلدون

وقال حديثه :

« لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا »

ولا يضلنك شيطان الوم فتعد هذا « التكالب » يوم تراه حب حياة أو هياماً بها .  
إنما هو داء ( نعوذ بالعلم الصحيح والتثقيف الهادي منه ) وإنما هو شر  
تلَكم الأمة العربية ، وهذا دأؤها وهذا دواؤها :

الفقر والجهل وكره الحياة

والغنى والعلم وحب الحياة

« ولم يتأخر من أراد تقدماً ولم يتقدم من أراد تأخراً »

و « من لم يقدمه عزمه أخره عجزه » كما قال محمد بن الحسن وزير السلطان محمود  
وعجيب ( والله ) أن يقعد العرب عن شأنهم مثل القواعد وألا يمشوا اليقدمية في  
الدنيا وألا يكونوا ( كدأب أولهم ) سادة الدنيا وشائد وحدتهم ذاك الشائد وكتابهم  
ذلك الكتاب وهو الهادي وهو القائد

« أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب أقفالها »

غنى على الحياة أيها العرب حتى على حب الحياة وحتى على الغنى والعلم »

(على مغريبتها) وكلها في العصور المتأخرة بالقي تدم (في أسلوب اللغة  
العامي) جماتها

ويُخِيلُ إِلَى أَنْ نَفُوسَ الْحُكَمَاءِ الْعُلَمَاءِ تَكُونُ فِي أَحْيَانٍ الضَّعْفِ أَقْوَى  
مِنْ نَفُوسِ الْأَدْبَاءِ فَلَاتِهِنَّ وَهَنَهَا وَلَا تَهُونُ هَوَانَهَا أَوْ كَانَتِ الْعُلَمَاءُ فِي الدُّنْيَا،  
وَلَيْسُوا فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ النَّاسُ وَلَيْسُوا مِنَ النَّاسِ. وَقَدْ يَلَاقِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ  
الْمَسَاكِينَ رَبَّهُمْ وَلَا أَثَرَ لِحَوَادِثِ دَهْرِهِمْ فِيهِمْ وَقَدْ يُتَّقَمُونَ مِيَادِينَ الْحَيَاةِ  
فِيَتَأَخَّرُونَ وَلَا يُتَّقَدَمُونَ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَنْشُدُ مَتَحَسَّرًا  
وَأَخْرَنِي دَهْرِي وَقَدَّمْ مَعَشْرًا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ<sup>(١)</sup>

يُتُّسْتُ مِنْ أَكْتِسَابِ الْخَيْرِ لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْرَ وَفِرَّ لِلشَّرِّ<sup>(٢)</sup>

وربما لبسوا الثبان<sup>(٣)</sup> للمصارعة فيُصرعون وقد نازل أمس صاحبنا  
(ولسن) ذينك العفريتين (لويد جورج وكننصو) فعقلاه عُقْلَةً فِي السِّيَاسَةِ  
شَغْزِيَّةً<sup>(٤)</sup> فصرعاه سريعاً « فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً » كما  
قال الله. وأضحى عند جميع الناس ضحكة ثم قضى كمداً  
أين الأمم المحررة يا ولسن؟

ليست العربية يا سادة بالمقصرة ولا العاجزة وليس الضعف وليس  
المعجز وليس القبح من طبائعها

(١) البيت للزخشرى (٢) البيت لابن العلاء (٣) (التيان) سراويل  
صغير للملاحين والمصارعين واتبن كافتعل لبسه (٤) (الشغزية) وبالراء اعتقال  
المصارع رجله برجل آخر وصرعه اياه وشغزبه شغزبه صرعه كذلك

وقد كانت تَنُشد في هذا الدهر الأطول في أرجاء الأرض كافةً همماً  
بعيديات ونفوساً سرّيات أبيّات وارتقاء في أمة عربية وعلاء كيما تنجلى في  
الدنيا تجليها وكى تضى. كعادتها اضاءتها، فلما ألفت في أرض مصر مرغبتها  
لمّا وجدت (محمدًا ومحمودًا) ظهرت بل اثقلت بل قد تحاقر عند ضيائها  
نور الشمس فكان (يومُ التجلي) كما يقول اخواننا النصارى وكان عيده.  
وأصبحت الدنيا وقد علت كلمة العربية وأعلن الدهر سلطانها

وغدا محمود سامى يحمل علم الشعر ويبشر الحال برسول في القريض  
يأتى من بعد محمود أسمه (أحمد) ولا تسأل يا هذا قوة سامى الشعرية أن  
تعطيك أكثر مما أعطتك فيحسبك ما أخذت وحسب الرجل ما جاء منه  
ولا تجود يد إلا بما تجدُ

وغدا الشيخ محمد عبده يحمل علم النثر. ويدُ جمال الدين عند محمد وعند  
العربية وعند مصر وعند المشرق لا تكفر

فاذكرُ في الكتاب جمالَ الدين

وإنِ عليه بالذى هو أهلُهُ ولا تكفرنه لا فلاحَ لكافرٍ (١)

إنّ جمال الدين لم يكُ شخصاً فذاً. إنّ جمال الدين كان أمة. وإنه لم  
يتنبه من أم الشرق في ذلك الوقت إلا أمتان لا ثالثة معهما: الأولى هي  
الأمة اليابانية، والأمة الثانية هي جمال الدين. فجمال الدين أمةٌ وحده.

وقد أراد ابن الحريري في البدء أن يقتل الأستاذ الامام فنجاه كتاب الله وحديث رسول الله منه . فارجع يا فتى إلى أسلوب القرون الثلاثة الأولى إلى الأسلوب الطبيعي العربي ، إلى الأسلوب الباريسي ، إلى أسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الأربعين ؛ وانبد انبد مقامات الحريري ومقامات الهمداني وما شاكلها ولا تنصفحنها إماماً ابتغيت تعرفها إلا خائفاً وحادريك<sup>(١)</sup> أن يستعبدك منقدم في الزمان أو متأخر وإياك وأن تقلد في القول أحداً فالقلد عبد ولا يرضى بالعبودية حر والعامل لا يهب كينونته لسواه وأن ساواه أو علاه وبعضهم لا يهبها الله ( عز وجل ) والنقليد عدم والاستقلال كون فلا يؤثر على الثاني الأول إلا أحق

وقد دارت حول الاستاذ الامام « العبارات الفقهية والقوانين العلمية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة » كما يقول ابن خلدون فاستطاعت لبلاغته إضرارا « ولا خدشت لملكته وجهها »

ولا يضر الفقهاء وأهل العلوم تقصيرهم في هذا النمط من البلاغة فلالم ( كما ذكرت آنفاً ) لغة والأدب لغة . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع عامي بأن العربية لا تجيزها » وقال أيضاً « استهجننا تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم ومن دخل ظفار حمر »

(١) ( حذاريك ) كذا أى احذره حذراً بعد حذر من المصادر المثناة للمبالغة

وقد كتب الأستاذ في العلم بلغة الأدب ( كدأب هنري بركنس  
فيلسوف فرنسا وكفلامريون العالم في الفلك ) فراحت رسالته في التوحيد  
في ذلك العصر معجزة

ظهر محمد وظهر محمود فتقوت العربية بعد أن تضعفها الخصوم وتعززت  
بعد إذلال فغدا الدهر عند ذلك يُعبدُ لنا بغة يطلع على الدنيا طريقة  
ومن سنن الله ومن دساتير الطبيعة الأيفاجيء نابغة أو عظيم فيما  
قدّر له أن ينبغ أو يعظم فيه قومه مفاجأة دون أن يستعدوا له ، إذ النابغة  
في شيء ما إنما هو جوهر أمته ، ولا يُلخص خير الآمن خير وما حدث  
كون عن عدم . وقد أشار الى مثل هذا واضع علم الاجتماع ابن خلدون  
حين ذكر أمر الرسالة المقدسة

غدا الدهر يعبد لنا بغة في القريض يطلع على الدنيا طريقه ، وغدا  
أهل الدهر يرتقبون شعراً يُسمى شعر النبوغ قد عدموه منذ عصور ولم  
يجيء من بعد القرون الثلاثة الأولى ومن بعد الذي يقول :

وما تسع الأيام عامي بأمرها وما تُحسن الأيامُ تكتب ما أملي<sup>(١)</sup>  
إلا مقصّداً معدودات وإلا مقطعات قليلات وأبيات نوادر  
غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يُشعّ مثل الماس إشعاعاً ويزهر كالدراري  
المتوهجة زهوراً بل يُضيء كما تضيء الشمس وقد جعل بل قد تجسّم من  
الجمال وقد نوره القراءان فبان بياناً

(١) من قصيدة للمتنبي في الرثاء وفيها هذا البيت :

هل الولد المحبوب إلا تعلة وهل زورة الحسناء إلا أذى البعل

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً هو فوق الشعر، وكلاما هو فوق الكلام.  
كان ابن نباتة السعدي<sup>(١)</sup> قد سمع مثله من شعر احمد بن الحسين (المتنبى)  
فقال : « نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول » شعراً متنبياً<sup>(٢)</sup>  
غوتياً شكسبيرياً يعلق بالخلود أو يعلق به الخلود اذا قيل وينشده الدهر  
الناقد اذا سمعه

انتظرت الأمم العربية برهة هذا الشعر النابغ وخروج هذا الشاعر  
والاقوام كلهم أجمعون متطالون والاعناق مشرئبة والوجوه الناضرة كما  
قال الله : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » والعيون ناظرة  
شاخصة والقلوب في الصدور راقصة والدهر الذي قد ضنّ أمس وجاد  
اليوم يبتسم

(١) من شعراء اليتيمة وصاحب هذا البيت :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحد

ولهذا البيت قصة جميلة غير صحيحة وهي :

قال ابن نباتة كنت قائلاً في دهليزي فدق على الباب فقلت من ؟ فقال رجل من  
المشرق . فقلت ما حاجتك ؟ فقال أنت القائل : ( ومن لم يمت البيت ) فقلت نعم  
فقال أرويه عنك فقلت نعم . فلما كان آخر النهار دق على الباب فقلت من ؟ فقال  
رجل من أهل تاهرت من المغرب فقلت ما حاجتك فقال أنت القائل ( ومن لم يمت  
البيت ) فقلت نعم فقال أرويه عنك فقلت نعم وعجبت كيف وصل الى المشرق والمغرب

(٢) في احدى ليالى المهرجان فى « كرامة ابن هانى » قلت خطبة خلاصتها :  
« أن ليس بسمرق هو شائد الوحدة الجرمانية وان ذكر التاريخ - وقد يجور  
التاريخ - ذلك لكن شائد وحدثهم هو ( غوتى ) بانها قبل بلقته وأدبه وإن غوتى  
الامم العربية هو أحمد شوقى »

فتبليج ( وقد تفتحت أبواب السماء بالدعاء ) نور « احمد » يملأ الدنيا  
وطلع على أهلها « شوقي »

حتى طلعت بضوء وجهك فأنجلت      تلك الدجى وأنجاب ذاك العيرُ  
فافتنَّ فيك الناظرون فإصبع      يوماً إليك بها وعين تنظرُ  
يحدون رؤيتك التي فازوا بها      من أنعم الله التي لا تكفر<sup>(١)</sup>

وظهرت معه أمة اللغة العربية آخذةً يمينه وقد انحدرت من مقلتها  
دمعتان « ومن السرور بكاء » كما قال المتنبي

جاء ( احمد شوقي ) وقد أضاء عصر الكهرباء وخرج هؤلاء المفاريت  
من الافرنج يسحرون الناس بالذي يأتونه وإن أعمالهم ( والله ) لساحرة ،  
وان مبتدعاتهم ( كظلمهم العبقري<sup>(٢)</sup> ) عبقرية باهرة، وأقبلت هذه المدنية  
الغربية ناسخة المدينيات وصاحبة المعجزات المجنات  
وما هو إلا أن تراها ( بدارها ) فتبهت ، لا عرف لديك ولا أنكر<sup>(٣)</sup>

مدنية عجيبة مدهشة<sup>(٤)</sup> قد حار في أمرها القائلون فما يقولون وقد أعجزت

(١) الايات للبحترى ( يوماً ) خفت همزة . ( ويومى ) والماضى ( أومى ) لفة

(٢) ( الظلم العبقري ) الظلم الشديد : قال : ظلم لعمر الله عبقري

(٣) لابي صخر الهذلي من قصيدة جيدة مطلعها

لليلي بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات الين آياتها سطر

وقد رواها كلها أبو على في أماليه . وذكر أبو تمام أربعة آيات منها في حماسه

(٤) ذكرت هذه المدنية في خطبتي ( قلب عربى وعقل أوربى ) فقلت :

« المدنية الغربية ذات تعاجيب بل ينبوع التعاجيب

فهنالك النظام ( يشرق ) تصحبه الهيبة ( وجرى لندن تشهد عجباً )

شعراءها فما عادوا يبدعون كما كانوا يبدعون وقلّ أو اضمحل فيهم في الشعر  
النابنون فلم يُعزّز شكسبير وغوتى في الغرب بثالث

وهناك العلم قد رافقته الحقيقة

وهناك الفن إن رآه الرأى بهت (واقصد باريس تر الدنيا . وإن يوماً في باريس  
خير من خمسين سنة في الصين )

وهناك الجلد الجرمانى فى العمل والبحث والتدقيق

وهناك الابتداع يتبعه ابتداع يليه ابتداع فيا (أدسن ) هل هذا وحي يوحى ؟

وهناك الوطنية تعلم جاهلها كيف تكون

وهناك الحرية اشترت بـغالى الثمن

وهناك (الاقتصاد ) وهو عماد ذاك الصرح

وهناك الجود فى سبيل الخير والعلم عساكر من الممال كثيرة . وإنه لجود لم يحلم به  
حالم . ولا دراه كعب بن مامة أو حاتم

وهناك الجامعات النيرات ( عرين الفضل وكهف العلم ) وإنها لشموس فى الارض

تزهروما اللواتى فى السماء ( وأبيك ) بأضواً منهن

وهناك السعى الامريكى والعصامية

وهناك الخلق السكسونى ( وهنا القوة لا فى الأسطول )

وهناك صدق القول وصدق الوعد وعدل يوم الحكم ( وإن فى برلين قضاة )

وما سياسة ذى سياسة أو من ضافك ( يا عربى ) فى الحى ( والضيف يرحل ) بالذى  
هو يكذب قولى ( وهل الفيت يا أخى فى دنياك خيراً محضاً )

وهناك ( وهذا من حراسها ) أساطيل للدأماء . وطيارات للاجواء . وقوة

تلسم مدينة الغرب . فالخير كل الخير فى أن نعرفها . والشركل الشر فى أن نجعلها

وإننا اذا عاديناها وهى السائدة الساطية استعلتنا . وإننا اذا نابذناها وحقدنا عليها

حقرتنا . وهى مدينة قد غمرت الكرة الارضية . فليس ثمة عاصم وإن أويت

الى المريح

فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع

جاء ذلك وجاء احمد شوقي فافرّ من أمام ما شهد فرار الجبان ولا أُخِم  
إِخَامِ العاجز بل مشى مشية الليث (كشى ذاك الحماسي) ونادى لفتته  
العربية فأجابته، وأهاب بقوته الشعرية فلبّته

هما عتادى الكافيان فَقَدَمَا      أَعَدَدْتُهُ فُلِينَا عَنِّي مِنْ نَائِي (١)

جاء في الشعر بهذا السحر اللذ (٢) رأيتموه وقال ذلك القول اللذ سمعتموه  
وقذف بالشطرنج بنصف البيت قد اجتافه تاريخُ أمة

وسير البيت يعرض فيه للناظرين السامعين دولة  
وابتده القصيدة في شأن فهاج قبيلاً أو أهدأ قبيلاً أو نشط لما يُعلى  
أو ثبط عما يُدنى فذهبت تلك القصيدة في الناس دستوراً

وإنه لن ينجينا من عفاريت قومها غيرها . ولن يبعد عنا شرم إلا خيراها . فان  
امتهن العلم الجهل . أجل العقل العقل . وإن تصارم الاغبياء والأرباء تصافي العقلاء  
ان كنت من فارس في بيت سؤدها . وكنت من محتدى بالبيت والنسب  
فلم يضرنا تناءى المنصيين وقد رحنا نسيدين في علم وفي أدب  
إذا تقاربت الآداب والتأمت دنت مسافة بين العجم والعرب  
وهل يضم العالم العالم . أو يسوء الحكيم الحكيم ؟ وما يبغي اخو الغرب من  
فتى من العرب قد خرج في مدرسته فشا كله . وقد ثقفته مدينته فاثله . وهل  
هداه كما يضل ؟ وهل داواه لكي يعتل ؟ وهل أراه كيلا يرى ؟

فالمدينة الغربية فيها معقلنا . وفيها سد الصين . وفيها المنجاة من كل مغل شرقي  
او غربي مقتحم ( والخوف من ذاك الجار مثل الخوف من ضيف الدار )  
والجار المذكور في هذا التعليق هو التركي وضيف الدار معلوم . . .

(١) لابن دريد في مقصورته

(٢) في المفصل : ولاستطالهم اياه بصلته مع كثرة الاستعمال خففوه من غير وجه

فقالوا : اللذ بحذف الياء ثم اللذ بحذف الحركة

وغاص وحلق « فأتى ( كما قال ابن الأثير في حق حبيب ) بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر »

وعرف الشرق وعرف الغرب وعرف العصر ( وقد جهل غيره عصره )  
واكتنه سر التأخر والتقدم فاعطى الحقيقة في الشعر وهدى بالكلم الطيب  
ذى الحكمة الى الطريق الأقوم

فكن كشوقى يا شاعراً في هذا العصر فشيح المجاز بالحقيقة ( على أن  
ليست حقيقة هذا الكون ( والله ) إلا مجازاً ) واعلم أن علم الاقدمين  
دينهم ودين المعاصرين خاصتهم علمهم<sup>(١)</sup> « ولكل أجل كتاب<sup>(٢)</sup> » كما قال  
الله ، وأن الدهر دهر حقائق بل لا تثبت الحقيقة فيه إلا في دار الاختبار  
بالشهود المدول وأن الحال كما قال ذلك الشيخ<sup>(٣)</sup> ذاك الشاك

فقلنا للهبزبرأ أنت ليث ؟ فشك وقال على أو كأني

فلق حين التحليق في طيارة وغص عند النوص في غواصة وناج  
حبيبك بالمسرة اللاسلكية أو ( بالرادى ) فانهما أسرع من خاطرك

ورب معان يهيم بها الزمان هممة ولا يفصح وتختلج في الصدور  
ولا تبدو ويجهلها العالم وهي منه مقتربة وتغيب عن الأملى وهي لم تبعد

(١) هذه الجملة خلاصة لكتاب العالم الجرمانى ( د . استروس ) الايمان القديم  
والحديث . وقد كان الرجل من شيعة الاول ثم جاء الى فرقة الثانى . وكتابه جيد مفيد

(٢) قال الامام الزمخشري في كشافه عند تفسير هذا القول الكريم :  
« الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على  
العباد اى يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم » (٣) الشيخ هو المعرى

عنه قد اجتذبتها قوة شوقى الشعرية ويبتنها أى التبيين للعالمين فمجب  
الناس بل ما كادوا يقضون العجب

وقد حالف قصيدُ أبي على الفن مخالفة صدق فأتضح اتضاحاً وتآخت  
أبياته تآخياً فهي بنو أعيان لا بنو علات ولا أخياف<sup>(١)</sup> ولا ابناء عم  
وتعانقت معانيه عناق العاشقين وتجلت مقاصده وصرحت صراحة  
الوطنى ذى الاخلاص

وقد جمه وقواه وخلده ، عريته ، متانته ، لغته ، ديباجته ، وإن لهذا  
كما للمعنى لقدراً وان له لبهجةً وان له فى النفوس لأثراً . وإنما المعنى واللفظ  
شئ واحد فهما كالجسم والنفس والنفس والجسم كأن فرد لا كائنان متباينان  
واللفظ والمعنى كمادة الكون وقوته فليس هناك مادة قد انفردت عن  
القوة وليس هناك قوة قد زابت المادة كما يقول ( كنت ) وغير كنت  
من المنويين أو الأثنين

عمدتم لرأى المنوية بعد ما جرت لذة التوحيد فى اللهوات<sup>(٢)</sup>  
ليس ثمة مفترقان إن هناك إلا اتصال إن هناك إلا الوحدة كما يقول  
محي الدين وسبنوزة وأرنست هيكل<sup>(٣)</sup>

(١) بنو الاعيان أولاد الابوين . وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد .  
والاخياف الذين امهم واحدة والاباء شتى ( عكس العلات )

(٢) البيت للمعري

(٣) بيتن الاستاذ أرنست هيكل أمر الوحدية والاثنية فى رسالته ( الوحدية ) وفى  
كتابه احاجى الكون ومعائب الحياة تبيناً قريباً

إذا تَبَدَّى حبيبي بأى عين أراه  
بعينه لا بعيني فما يراه سواء<sup>(١)</sup>

بل ليس هذان المعدودان اثنين ( أى اللفظ والمعنى ) إلا صاحبهما  
يتجلى فيهما ومن أجل ذلك يضعف قول أو يقوى ويقبح أو يجمل  
ويصغر أو يكبر ويلتبس أو يتضح . واتلُّ أقوال الأمم العربية في كل عصر  
تنبئك بأحوالها فأحوالها المنغيرة ذات الضعف وذات القوة هي في أقوالها  
فاعرف أقوالها تعرف أحوالها

وإذا لم يتجلَّ ذو القول في قوله فليس بذى كينونة وأنه لسواء والعدم<sup>(٢)</sup>  
وما قوله قولاً

وإذا تشاكس ذات مرة لفظ قول ومعناه فما هو إلا مخلوق مشياً<sup>(٣)</sup>  
نعوذ بالله من رآه

(١) لمحبي الدين بن عربي . بلا ( ال ) وابن العربي غير محي الدين ( تبدى )  
ظهر . وهذه لفظة شردت عن أصحاب المعاجم وقد وردت في كلام العرب الموثوق  
بعربيتهم قال المرار بن المنقذ من اصحاب المفضليات :  
لحسبت الشمس في جلبابها قد تبدت من غمام منسفر  
وقال الحماسي :

وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى

والزمخشري في كشافه يقول : اجعل ما يقوله ابو تمام بمنزلة ما يرويه فما قولك فيما  
يرويه وما قولك في المفضليات . قال التبريزي في مقدمة شرح الحماسة . من أجود  
ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة

(٢) معطوف على الضمير في سواء

(٣) ( مشياً ) مختلف الخلق كان فيه من كل قبح شيئاً

واني أقسم بالقرآن وبلاغته ومعجازه وعبقريته وعجائبه التي لن تحصى  
أن لو لم يكرّم لفظ شوقي في الشعر كما كرم معناه، ولو لم تُشرق هدى  
الديباجة الشوقية المليحة ذات الحفلة<sup>(١)</sup> ذلك الاشراق ما كان أحمد شوقي  
شاعر العربية الأكبر وما كان ملك الشعر وما كنتم أظفرتوه بهذا  
اليوم . ولكنه عاقل حكيم عرف كيف يقول وكيف يبني قصيده ويشيد  
أهرامه ليخلد فيها وقد قلت قديماً : « ما يقي المعاني من الدثور إلا متانة  
الفاظها وما يخدمها الدهور إلا تحقيق كلامها » والدهر أثبت ما كنت قد قلته  
وما التجدد يا قومُ بصادٍ صاحبه عن الاحتفال في اللغة الأدبية بديباجة  
القول وإحكامه وصيانتها من كل خلل وتجليه أنيقاً ذا نضارة طبيعياً عربياً  
بل التجدد يحدو<sup>(٢)</sup> على ذلك لأن التجدد أخو التقدم وخصم التأخر

ومن التجدد أن تهيم بالفن وهذا فنّ

ومن التجدد أن تقول القول الجيد المضبوط ليفهم الناس ما تقول

ومن التجدد أن تختار خير طريق في الإنشاء والقريض فتسير فيهما

مستقلاً لتبلغ وتبلغ قومك من الارتقاء ما يجب بلوغه

ومن التجدد أن تشيد الأمة المتنبهة بنيانها على الأساس القوى

لثلاثينهار

ومن التجدد أن تتقن يا هذا ما تعمل وترضن ما تعلم وأن تعد لكل

أمر عدته وللكتابة والشعر عدد فقل لي هل أعددتها ؟

(١) على وجه فلان غسلة اذا كان حسناً ولا ملح عليه ويقال في ضده على

وجهه حفلة (٢) من المجاز حدوته على كذا بعثته

ومن التجدد أن يعلم انه لا يجيئ من الضعف والانحطاط إلا الضعف  
والانحطاط ولا يجيئ من القوة والنقدم إلا القوة والنقدم والتجدد الأريب  
إنما يريد أن يزداد قوة وتقدماً

ومن التجدد أن يعرف من يروم تغييراً كيف يغير فلا يدع الحسن  
المجمع على حسنه إلى قبيح لا ريب في قبحه  
ولقد أبهج كل أديب عربي أن عرف المجددون في مصر كيف يمددون  
وأى دين في التجدد يتبعون



إن لم تكن القاهرة حاضرة الأمم العربية السياسية و « يحو الله ما يشاء  
ويثبت وعنده أم الكتاب » فان القاهرة حاضرة الأمم العربية اللغوية  
ملك الشعر فيها « شوقي » والأقاليم العربية في المشرق والمغرب قاطبة من  
أعمالها وأدبائها عماله وأهلها « رعية احسانه » وإن لهذا الملك علينا السمع  
وإن لنا عليه الاجادة في القول وقد ( والله ) أجاد وقد سمعنا وأطعنا وجئت  
أحتفى به ( يوم تكريمه ) في المحتفين وأعترف بقدرته المتعالية في القريض  
مع المعترفين



جاء محمد وجاء خليفته وجاء محمود وخرج نابغة الشعر العربي  
« أحمد شوقي » وكان المقنطف ثم جاءت هذه الدولة الأدبية العربية المصرية  
ومن رجالها الكاتب الاكبر ، والشاعر الاكبر ، والمفكر الاكبر ،

والأديب الاكبر، والخطيب الاكبر، والنقاد الاكبر، والباحث الاكبر،  
والفقيه الاكبر، والمفنز الاكبر، والعالم الاكبر، وكل كبير في علمه وفنه  
فصات في أرجاء الكون هذا الصوت

إلا إن محمداً

وذكر محمد

وقراءان محمد

ولغة محمد

وعربية محمد

وأدب محمد

كل ذلك لن يزول ، كل ذلك لن يبهر ، وفي الدنيا مصر<sup>(١)</sup>

(١) في حفلة نقابة الموظفين ( وكانت من حفلات العيد ) قلت خطبة خلاصتها :  
« هناك شكران شكر تقدر عليه وشكر لا تقدر عليه اماشكر الاحتفاء بنا واكرام  
وفادتنا فانه يستطاع ( على عظم المعروف وكبره ) واما الشكر لمصر خدمة العريية  
ووقايتها الدهر الاطول فهذا لا تقدر عليه ولا يقدر عليه أحد او أمة في الدنيا وليس  
هناك قادر إلا رجل واحد وهو المقيم في يثرب مهوى افئدتنا وافئدتكم وقرة اعيننا  
واعينكم خالق العرب والعربية معنى هذا الكون « محمد بن عبد الله » فهو يتولى شكر  
مصر والمصريين وحمد على ذلك »

وقد كان تأثير ما قلت في القوم كبيراً فنفقت القلوب ، واهتاجت اهتياج ابتهاج  
النفوس وبكت العيون وسُمع النشيج وكانت حال فوق الوصف وقد ذكرت الصحف  
بكاء الاساتذة الكبار السيد محمد رشيد رضا والشيخ عبد العزيز شاويش والسيد محمد  
عبد المطلب وذكرت تفرق الدمع في عين شوقي

## اللغة العربية

### والاستاذ الريحاني

كان المفكر الكبير النابغة الأستاذ أمين الريحاني قد قرأ كلمتي في اللغة العربية - وهي الخطبة التي خطبتها في دار جمعية الرابطة الشرقية في اليوم الأول من ذي القعدة سنة ١٣٤٣ - فأرسل اليّ بكتاب (نشر في مجلة منيرفا في بيروت) فيه ثناء وفيه نقد لا يكتبه إلا مثله من الكاملين الفضلاء . فأجبتة . فرد عليّ (وكان الرد من جنس الكتاب ) فأجيب الردّ بالمقالة الآتية . وقد ظهر هذا التجاوبُ في جريدة الميزان في دمشق في رمضان المبارك سنة ١٣٤٤

وربما خيّلَ ( إذ كان هذا التجاورُ ) أنّ الرأي مختلف . وأنّي أريد أمراً ويريد الأستاذ أمراً في حين ان كلينا لا ينبغي للعرب إلا خيراً . وهو حليفي في آرائى وأنا حليفه في آرائه

فأيعلم كلّ عاقل أن ليس بين الصاحبين اختلاف . وإنّ مقالة الأستاذ في (التجدد) في مجلة (الكشاف) في بيروت في السنة الماضية لتثبت موافقة الأستاذ اياي . وأنا ( والله ) لا أسأل أكثر مما سأله فيها بل أرضى اليوم من أمة العرب بالقليل بل أرضى بالأقل فهاتِ القليل هاتِ الأقل وخذ دنياي

فيبدولي ( والحالة كما بينها ) ان الذي حدا أخى الصديق على الرد عليّ أنه عدتي قد شددت ( وللشدة حين ) فجاء يلين ، وظنى ( والظن يقين ) أنى لولنت لرأى الرأى منه شدة

## المقادير

وجدتُ الأستاذَ الريحانيَّ يَعيبُ في مقالهِ التقليدَ<sup>(١)</sup> والاعرابَ ويُهجنُ (اصطلاحات واستعارات يشغف بها المقلدون) وَيَعُدُّ الانشاءَ فنًّا - والتجاوزُ في الكلفِ بالفنِّ خسرانٌ - واللغةَ ذريعةً - واتخاذَ الذريعةِ غايةً ضلالاً - ويرى أننا محتاجونٌ جدُّ محتاجين إلى الذي هو أنفع إلى العلمِ الغربيِّ الحقِّ فلا يجوزُ أن يشغلنا الكلامُ المزوقُ عنه

أجلُ إنَّ في هذا العصرِ من يُقلِّدُ المتقدمينَ ومن يُشمله اللفظُ الغريبُ ومن يَسْتجيدُ الاستعاراتِ ويستملحها فتظلم فيها معانيه ولكنِّي (والحمد لله) لستُ كأحدٍ منهم فما أنا بالمقلدِ أديباً قديماً أو حديثاً بل ممن ينمى على ذى التقليدِ تقليدَه

وقد ألقى الكاتبُ العظيمُ من المتقدمينَ فلا يسيطر على ولا أمشى وراءه وله قوته وطريقته ولى ضعفى وطريقتى، وقد يكونُ متقدِّمٌ بعدَ التحقيقِ ضعيفاً متأخراً . وقد تكونُ طريقته مضلةً كابنِ الحريريِّ ذى الأسلوبِ الأعجميِّ وكضارعيه من المولدين الذين ضلوا سواء السبيل فتكَبَّوا عن النهجِ الطبيعيِّ العربيِّ وأضلوا من بعدهم خلقاً كثيراً . وقد نددتُ بهم في

(١) قدرت ان الاستاذ قد عنى صاحبه حين عاب التقليد فنيت الحديث على هذا التقدير احتياطاً . قال ابو تمام :

غير ان الرامى المسدد يحتاط مع العلم انه سيصيب

(الكلمة) ودعوتُ القوم إلى هجر كلامهم واتباع طريق المهتدين الصالحين  
فلستُ إذاً مقلداً في القول أحداً وإنما هي ألفاظ عربية مضرية عرقها  
وأسلوبٌ عربي مبين عقلته ومدكّةٌ جاءت ثم كلام هو ذوبٌ روحي وابن  
نفسى وخليقتى وطريقتى . وفي الخلق شدة وفي النفس قوة وفيها وضوح  
ظاهرها كباطنها وباطنها كظاهرها<sup>(١)</sup> . فانا أشنا التزويق في الكلام وأشنا  
هذه الاستعاراتِ المُخسراتِ<sup>(٢)</sup> وأبغض بديع الجماعة فلا أعرج إلا على  
القول المبين ولا يحى منى إلا الجملة البيّنة . وكرهى الغريب الذى ذموه  
ككرهى الاستعارة الممقوتة . وما هذه الألفاظ التى يطلبها مكانها ويحسبها  
بعض الناس غريبة ( وما هى بغريبة ولا تشبه الغريب ) إلا ألفاظ مضرية  
لا حميرية ولا يمانية وليست من ألفاظ حَضْرَمَوْتِ أو الشَّحْرَفِ فلا تذمها  
( يا أبا العرب ) ولا تنكرنها ولا تَرَيْنَهَا غريبة وأعرضها على السمع لا يعجبها  
وحرّك بها اللسان فهو لا يستثقلها . وما غرّب مثلها إلا تقهقرُ أمة ، القارئُ  
فى بدوّها وحضرها فى الألف واحد . ولو كان لها حال كحال الأمم ما أنكرت  
معروفاً ولا استغربت غير غريب

فلست ( وهذه حالتى ) كما أراد الشيطان أن يصبغنى فى عين الأستاذ  
الريحانى . وهذه « كلمتى » وهى خطبة خطبتُ بها الخاصة بل خاصّة الخاصة  
وما أنشأتها للعامة ولا لمن هم فوق العامة — هل تجد فيها غريباً وحشياً

(١) اعلم ان اكثر الناس ييطنون ما لا يظهرون ويظهرون غير ما ييطنون

فكن يا فاضلا من القوم على حذر (٢) المخسرات تقيض المربحات

وهل تعرض لك في جملها استعارةٌ أو تعقيدٌ أو صنعةٌ يستغلق بواحد منها معنىً وهل تعثرن فيها على تقليد متقدم في دهره أو متأخر أم تجد كلاماً عربياً طبيعياً حراً قد خاصم الاستعارات وعادى كل صنعة

وقد جاء الأستاذ الريحاني الى ( الكلمة ) فنَشَّسَ منها ألفاظاً ليعدها من الغريب ثم يحتج على بها وأعرض عن مئين من أخواتها الواضحات عنده وكل عند الحقيقة متضح وكل من قبيل واحد

ولقد كان الكاتب الخطيب الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب أرحم في قوله في ( الكلمة ) فإنه يقول في مقاله البليغة في ( السياسة ) الغراء : « نعم لقد أعادنا الأستاذ إلى عهد الجاهلية أو صدر الإسلام حين كان المعنى الضخم يبرز في اللفظ المتين الضخم وحين كان الكلام يصدر عن القلب فيقع في أعماق القلوب في مستقر ثابت مكين . حين لم تكن صناعة مجلوبة ولا حليةٌ مفسوبة ولا ركاكة ولا عوج »

وذاك العهد الذي ذكره الأستاذ دياب ينبيك بيان قوله المبين وباستقامته وطبيعته ( قرآن محمد ) - على عبقريته وعلى إعجازه وعلى كونه فوق القول - والصحيح الذي جمعه محمد بن إسماعيل وكامل محمد بن يزيد . فاغدُ يا قارئاً إلى أولئك الكتب واعكف عليها ثم قل لي : هل بعد هذا البيان بيان ؟ وهل وراء هذى السهولة سهولة ؟ وهل تقابل غرابة تدمها أو تكلفاً تمقته أو تحلية تنفر رأيها ؟

وهل تجد عندها ما تجده في كلام ابن المقفع والجاحظ والصابي  
والهمداني والرضي والمعري والحري وأمثالهم من قلق أو ارتباك أو  
تخطيط أو إسهاب أو تعمل أو زخرفة

وهل يلام من يهيب بالأدباء في هذا العصر الى ورود تلك الينابيع  
المذبة الصافية ويدعوهم إلى أن يشيدوا بناء لغتهم في هذا الوقت على تلك  
الأسس الثابتة القوية لكي يستحکم البناء ويرغد عيش أهله فيه ولكيلا  
يهي أو ينهار ولاءً يقدم على أن يسوي على بانيه بناءه مهندس أو بناء .  
وهل هذه الملاحظة على وجوه طائفة من الأدباء والقوة في أجسامهم إلا  
لأنهم كانوا يردون الينابيع القراءانية ويشربون من مائها .

ولك أن تشيد ( والعلم بالذي تأتيه هاديك ) على ذلك الأساس ما تريد  
فتبني حمراء أو زهراء أو قصرًا بلوريًا أو قصرًا بنديقيًا أو كل صرح  
يعجبك شكله . وذلك الأساس فيما تُنشيه أساسك . وذلك النبراس في  
البناء نبراسك

هل يلام الداعي الى ذلك وهل يُعدُّ صادمًا عن طريق الخير وسادًا  
إياها؟ وهل يستأهل<sup>(١)</sup> أن يُردى بثوب التقليد؛ وأنا ( والله ) لم ألبسه

(١) ( استأهل ) استحق استوجب . قال صاحب شفاء الغليل : « قيل مولد .  
وقال الأزهرى خطأ بعضهم من يقوله . وأما أنا فلا أنكره ولا اخطىء من قاله لاني  
سمعت اعرابياً فصيحاً من بني اسد يقول لرجل شكر عنده يدا اولاهاتستأهل يا ابا  
حازم ما اوليت بمحضر جماعة من الاعراب فما انكروها . وانكره المازني »

وفي القاموس المحيط : « استأهله استوجه لفة جيدة وانكار الجوهرى باطل »  
وفي الأساس للزنجشري « هو مستأهل له سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً »

منذ عقلتُ قَطُّ ولن ألبسه ( ان شاء الله تعالى ) أبداً



دَعُ ذَا وَجِيءٍ الْآنَ إِلَى قَوْلِ الْأَسْتَاذِ إِنْ الْإِنشَاءَ فَنَ، وَالتَّجَاوَزُ بِالْكَفِّ  
بِالْفَنِّ خَسْرَانٌ وَإِنَّ اللُّغَةَ ذَرِيعَةٌ، وَاتِّخَاذُ الذَّرِيعَةِ غَايَةٌ ضَلَالٌ . وَقُلْ لَهُ بَعْدَ  
تَحِيَّةٍ ثَانِيَةً :

الحقَّ<sup>(١)</sup> أَنَّ اللُّغَةَ لَمْ تَكُ إِلَّا ذَرِيعَةً وَمَا هِيَ إِلَّا ابْنَةُ لُغَةٍ الَّتِي هُوَ الْيَوْمَ  
أَدْنَى مِنَ الْإِنسَانِ ( وَإِنْ لَمْ يَرِ ادْسِنُ<sup>(٢)</sup> الْإِنسَانَ أَعْلَى مِنْهُ ) وَلَكِنْ الْمَرْءُ  
قَدْ تَفَنَّى فِي هَذِهِ الذَّرِيعَةِ ( كَمَا تَفَنَّى فِي ذَرَائِعِ الشَّرِّ ) فِجَاءٌ مِنْهَا الْفَنُّ : جَاءَ  
الشَّعْرُ وَجَاءَ النَّثْرُ وَجَاءَتْ تِلْكَ الصَّفَحَاتُ الْجَيِّدَةُ الْعَبْقَرِيَّةُ . وَأَنْ يُقَنْطَرِ الْفَتَى  
( كَمَا قَالَ فُلُوَيْر ) وَيَسْكُنُ قَصْرًا بِنَدِيقًا مَنْجِدًا أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُنْشَى  
صَفْحَةً وَاحِدَةً جَيِّدَةً .

وَرَأَى ذَلِكَ الْفَنَّ يَتَهَادَى مَعَ سَائِرِ أَخَوَاتِهِ مِنَ الْفُنُونِ الْفَتَانَةِ . وَالرَّقْصُ  
مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ . وَإِنَّ الرَّقْصَ لَفَاتِنٌ إِنْ الرَّقْصَ لَفِتْنَةٌ . وَقَدْ أَضَافَ الدِّينَ  
كَاتِبُ افِرْنَجِيٍّ مَلْعُونٍ إِلَى تِلْكَ الْفُنُونِ، نَعَمْ أَضَافَ الدِّينَ إِلَى الَّتِي مِنْهَا الرَّقْصُ  
فَإِنْ قُلْنَا إِنَّ مِنَ اللُّغَةِ فَنًّا وَجِبَ أَنْ نَحْتَفِظَ بِذَلِكَ الْفَنِّ وَإِنْ نَعْنَى بِهِ  
عِنَايَتَنَا بغيره مِنَ الْفُنُونِ . وَانْهَ لِأَحَقَّ بِالترْحِيبِ وَالِاهْتِمَامِ بِهِ مِنْ سِوَاهِ .  
وَإِنْ كَانَ فَنُّ الْمَوْسِيقِيِّ أَوْ الْمَصَوِّرِ مِمَّا يُهْدَبُ نَشْءُ الْأُمَّةِ فَالنَّثْرُ الْقَرِءُ أَنْ أَعْنَى

(١) بنصب الحق على الظرفية وفتح همزة ان ولا يجوز الكسر

(٢) يقول ادسن : ان الانسان لم يزل في الطور الشنبزى

النثر العبقريّ والشعر العُلويّ<sup>(١)</sup> أثرهما في تهذيبهم أكبر

وان عددنا الفن ( كما عدّه كاتب فرنسي يوم هاجت سرقة تلك الصورة La Joconde قومه ) سخافةً أو هذراً ورحناً نقول مع الزمخشري :  
« الفنون جنون والجنون فنون » جاز لنا أن نعد كل شيء في الوجود  
سخيفاً وألاً نجد لهذا الكون معنى<sup>(٢)</sup> ولزمننا أن نبادر الى الانتحار وندع  
الدار تنعى من بناها . لا لا . إن هذا الحسبان خسران والرأي الحكيم  
الرصين أن نرى الجيد جيداً والجميل جميلاً وان نبتهج بمشاهد الكائنات  
مع المبتهجين معرضين عن مقالات المعري وشو بنهور وشيعة المتشائمين  
منشدين في كل حين : تمتع من الدنيا فانك فان

تمتع من شميم عرار نجد

« والدنيا ( كما قال جار الله ) عمري<sup>(٣)</sup> ولا خلود إلا في الأخرى »

كتبنا الله في تلك الدار مع النازلين في عليين . إنه سميع مجيب

فمن اللغة فنّ ومن إنشائها فنّ فلا تسألنّ الفصيح البليغ في المقال أن  
يذر فصاحته وبلاغته وذا الفن أن يهجر فته وينزل من عليائه الى فنائه .

(١) قالوا : غنى النعمان بشيء من دالية النابغة فقال هذا شعر النابغة هذا شعر

علوي أي على الطبقة وقيل من عليا نجد

(٢) يقول فريق : ليس لهذا الكون معنى وليس له غاية

ويقول آخر : ان له معنى وان له غاية . والغاية في الغد . والدنيا مطية الأخرى

ويقول ثالث : معنى كل شيء في نفسه وغايته ونهايته فيه

(٣) العمري ما يجعل لك طول عمرك

وزيابل<sup>(١)</sup> عزلته ويماشى جماعته ويتنزل أسلوبه وهو يستطيع صيانته ودعه  
يفتن في الإنشاء كيف شاء

أن المتفنن في الناس قليل (وقدمت بالأمس أناطول فرنس ولاخليفة  
في قومه له) وهذى حالة لا يصل إليها كل ساعٍ فلا تخف من أن يكثر  
المتفنون . . . وهذا نفر في الأمم سلوى المكرويين، ومهذب الطالبين،  
وموقظ الهاجدين، وقائد الثائرين، وظهير<sup>(٢)</sup> المتأدين، وبكلامه يصقل  
الكتاب قرائحهم

فلا تكلف ذا الفن مصارمة فنه وكلفه تنقيحه إن اقتضت الحال تنقيحاً  
وتجويداً ان دعا الداعى الى تجويد . وان لم تكلفه فالزمان يكلفه والحاجة  
الى إصلاح نقص في فنه تجبره ونور فنه يريه ظلامه فيجلبه عنه



كانت اللغة فجاء منها فن وهو لا يكون في كل ضربٍ مما تخطه الأقلام  
ولن يكون . وأهله اثنان الشاعر والأديب ولا ثالث لهما فدعهما يحدوان  
مع الحاد . ويهيجان في كل واد

وفضيلة كلام (الشاعر والأديب) أو هذين المتفنين هو هذا الجمال الذى  
تلاقيه فيه . ومع الجمال الوضوح كل الوضوح بل ليس الحسن الا الوضوح  
الكامل فرغبي ومرغب من يتراى برأى أن نصون هذا الروثق أو هذه  
الديباجة كما يصون الكريم ديباجتيه فلا يبذلها

(١) (زيابل) يفارق

(٢) (ظهير) معين

ويستفّ ترب الأرض كيلا يرى له عليه من الطّول امرؤ متطول<sup>(١)</sup>  
ولا أبالي وخير القولُ أصدقه حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي<sup>(٢)</sup>

وكما يصون كل ذي فن فنه

وقد أعلن الأستاذ الريحاني في مقاله أنه يهوى الديباجة ، ولا ريب في ميله هذا ، فكل شيء تنوقت الطبيعة في تجويده ، وكسته من الحسن ثوبه فهو يستهوى الناس بل يستهوى الآلهة وقد قالت العامة وقالت الخاصة معهم وجاء في حديث : « ان الله جميل يحب الجمال »

ولن نُنشد (ان شاء الله) في يوم بيت المتنبي الذي أوهأ الأستاذ الريحاني إليه في كتابه :

زودينا من حسن وجهك ما دام لحسن الوجوه حال تحول<sup>(٣)</sup>

فلن يحول جمال العربية ، ولن تزول ديباجتها . واذا استطاع القوم في باريس أن يجمّلوا بالكهرباء الشنيعات ، فلن نعجز في الشرق عن الاحتفاظ ببهجة المليحات ..

(١) من لامية العرب المعزوة للشنفرى وهى صنع خلف وكم لخلف وكم لسواه  
من مصنوعة (٢) لحبيب  
(٣) وبعده :

وصلينا نصلك في هذه الدنيا فان المقام فيها قليل  
وهذا هو الغزل العقلى الرياضى وما كان احمد من المغرمين وهو القائل :  
وللخود منى ساعة ثم بيننا فلاة الى غير اللقاء تجاب  
وما العشق إلا غرة وطهاعة يعرض قلب نفسه قصاب

المنهيات قلوبنا وعقولنا وجناتهن الناهبات الناهب<sup>(١)</sup>  
الناعمات القاتلات المحييات المبديات من الدلال غرائبها  
الله أكبر



أخاف ( وقد ذكرت الملاحه والجمال وأوردت هذين البيتين وذكرت  
الرقص من قبل وسمع هذا التكبير ) أن تسوء الظنون فاقع في ورطه  
فوحق البيان يعضده البرهان في ما قيط الد الخصام<sup>(٢)</sup>  
إني لست كما يتظني ظان  
وما الأمر كله الا كما قال الحماسي :

فما قطرة من حب من تقاذفت به جنبتا الجودي والليل دامس  
فلمما أقرته اللصاب تنفست شمال لأعلى مائه فهو قارس  
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ولكنني ( فيما ترى العين ) فارس<sup>(٤)</sup>



(١) للمتنبي

(٢) من ابيات اربعة ذكرها ابو العباس في كامله وهي :

قد رأينا الغزال والفضن والنجمين شمس الضحى وبدر الظلام  
فوحق البيان يعضده البرهان في ما قيط الد الخصام  
ما رأينا سوى المليحة شيئاً جمع الحسن كله في نظام  
فهي تجرى مجرى الاصله في الرأي ومجرى الارواح في الاجسام  
قال ابن أبي الحديد: وجدت بخط أبي محمد عبد الله بن احمد الخشاب في تعاليق  
مسودة أبياتاً للعطوى وهي: قد رأينا الخ... وقد كتب ابن الخشاب بخطه تحت  
(المليحة) ما أصدقه إن أراد بالمليحة الحكمة

(٤) اراد بحب المزن البرد ( اللصاب ) شقوق في الجبل

اجتزىء من القول في الانشاء الفنى أو الفن اللغوى بما قد أوردت  
وأتى الى البحث عن اللغة ذريعةً لا غايةً أو ترجمانَ علم ليس غير :  
لا جرمَ أن العلم هو المهم بل هو الأهم وما اللغة (وقد كتب للفن اللغوى  
أو للأدب سجلّ بقسطه منها) إلا ذريعةٌ. وليست طريق الشئ كالشئ،  
نفسه ، ولكنك اذا لم تذرع لأمر بذريعته المحكمة لا تصيب نجاحاً ،  
واذا لم تعبد طريق مأربك لا تصل الى مأربك

ولغةُ هذا العلم عند العرب معروفة ؛ وهى لغة سهلة بينة صحيحة  
التركيب اللغوى قد آخت لغة الأدب إلا فى الديباجة وإلا فى ألفاظ  
اقتضاها الحال وعمل فيها (الانتخاب الصنعى) وكثيراً ما تنساب هذه  
الألفاظ الى كلام الادباء وتعمد فيه ولما طردها أديب أريب

وسعت هذه اللغة العربية العلمية علوم فارسَ ويونانَ والهندِ وكلَّ علم  
جدَّ عند العرب ولم يشكُّ من ضيق فى اللغة أحد ، وكيف تضيق وثمة  
بحور تمدها أوقيانوسات . وقد عرف فضل لغة القراءان فى العلم علماء الغرب  
وعلماء الترك ولما أراد الدكتور رضا توفيق الشهير تأليف (قاموسه الفلسفى)  
وجد أمامه درراً من كلمات القوم عدد الحصى وقد قال لى ذات مرة : إن  
الألفاظ الفلسفية العربية تدل على معانيها دلالة لا تدلها الألفاظ الغربية

فحقَّ على كل فاضل يعنى التأليف فى علم قد حذقه أن يُعول على لغة  
قعد الدهر (والانتخاب الطبيعى) آلفاً من السنين يتقنان صنعها ، وصحبها  
العلم فى الاسلام ألف سنة صحبة صدق ، كى يستعين هناك بأعوان وحتى

يتضح قوله ، ويُنير علمه فتذهن الناس ما يقوله وما يترجمه وعندنا من الكتب القديمة في كل علم الكثير بل أكثر من الكثير وقد طبعت المطبعة منها في الشرق والغرب طوائف

يجعل<sup>(١)</sup> مقتبس علم غربي يترجم مبحثاً أو يُلقق قولاً ( وهو لم يتخرج على أستاذ قادر ولم يقرأ كتاباً واحداً ولم يعرف أسلوب عامه اللغوي ولم يقف على ألفاظه ولا على بعض ألفاظه ) وتُلفيه زحر<sup>(٢)</sup> ( وهو يكتب ) زحيراً ، ويلعن العربية التي جهلها لعناً كبيراً ، ثم يطرح بجهيضم<sup>(٣)</sup> يعنى الناظرين فاذا عيبت جهيضمه لاحاك وتهدم على اللغة بالتنقيص

وليس ذلك الصالح عند التحقيق هو العائب لكن جهله ولو علم لم يعب . ويُعزى الى على : « الناس اعداء ما جهلوا » وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « العلة في أن الإنسان عدو ما يجهله انه يخاف من تقريره بالنقص وبعدم العلم بذلك الشيء خصوصاً اذا ضمه ناد أو جمع من الناس فانه تتصاغر نفسه عنده اذا خاضوا فيما لا يعرفه وينقص في أعين الحاضرين وكل شيء آذاك ونال منك فهو عدوك »

(١) قال ابن مالك :

واستعملوا مضارعاً لأوشكا وكاد لا غير وزادوا موشكا

قال ابن عقيل : حكى غيره خلاف ذلك فحكى صاحب الانصاف استعمال المضارع واسم الفاعل من عسى وحكى الجوهرى مضارع طفق وحكى الكساءى مضارع جعل

(٢) في الاساس : وقد زحر وتزحر وهو اخراج النفس بانين

(٣) ( الجهيضم ) الولد السقط

وهناك أهل فضل ، قلق تركيبهم وخبثت ألفاظهم فاذا تقدمت كلامهم لم يكابروا واعترفوا بتفريطهم في جنب اللغة واستغفروا المعلمين أعمامهم الله عن هديهم وتفقيهم ، ولاهوا أمهم العربية ودولاتها التي تضاجعت<sup>(١)</sup> عن إعزاز لغتها ، واعترفهم هذا ممتدح ، وإنهم في ذلك اللوم لمصيبون وربما كان في الميدان أناس ( كالباب محمد على صاحب النحلة البائية ) يرون أن اللغة العربية قد أجمت<sup>(٢)</sup> في القديم فعوقبت على جرمها فالزمت هذا الاعراب وصُفدت بتلك الدساتير اللغوية فلما سعدت الدنيا بتجلى هؤلاء ( الأبواب ) غفروا ذنوبها فتموا عليها باطلاقها من سجن اعرابها وضوابطها فانطلقت حرة وغدا أمرها فوضى

وليس الأستاذ الريحاني من هؤلاء وليس من ذينك القبيلين ولكنه

(١) تفافلت

(٢) روى السيد جمال الدين الافغانى « ان محمد على لما رأى اقبال الناس عليه واجابتهم دعوته ترفع في دعواه فقال انه هو النبي وان الله قد انزل عليه كتاباً يسمى بالبيان وانه المشار اليه بقوله تعالى خلق الانسان علمه البيان . والانسان هو محمد والبيان هو هذا الكتاب المنزل على السيد على . وكتابه هذا يحتوى على كثير من العربي المسجع وبعض الفارسي إلا ان العربي منه كان ملحوناً فلما سئل عن سبب وقوع اللحن في هذا الكتاب المنزل مع ان اللحن نقص اجاب بأن الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الاول فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الاعراب وحيث ان بعثتنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فأطلقت من قيدها تذهب الى حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط . . »

فاضل نابغة<sup>(١)</sup> تنكب عن طريق التقليد ، وانكرت نفسه الرق العقلي فكدحت في تحريرها فلما حررها لم يستبدَّ بخيره وأراد أن يشركه في الخير غيره فدعا قومه إلى حرّيته ، وانتحال عقيدته . ( وصاحبه عقيدته في خطته ) ثم أبصر الأستاذ الغرب يطير ارتقاءً وقومه العرب قد ألفوا الحضيض « فهم حضيض » كما قال أبو تمام . فشقّ عليه أن يشهد ذلَّ جهلهم وقد اعتر بالعلم خصمهم وآكلهم . وتحقّق أن الذي أقعد في العلياء الغرب إنما هو علم الغرب فنأدى إلى إيثار ذلك العلم وأشفق أن يُعَوِّقهم الاهتمام بالمهم أو غير المهم عن طلب الأهم فقال لهم اجتزئوا<sup>(٢)</sup> من المونة اللغوية بزاد

(١) نابغة من النابغين في هذه الأمة ومشهور في المشرق والمغرب وآثاره في العربية هي : (١) الريحانيات أربعة أجزاء (٢) زنبقة الغور (٣) خارج الحريم (٤) نبذة في تاريخ الثورة الافرنسية (٥) المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية (٦) ملوك العرب جزءان (٧) تاريخ نجد الحديث (٨) النكبات أو خلاصة تاريخ سورية منذ العهد الأول بعد الطوفان الى عهد الجمهورية بلبنان . . . وهذا في الطبع وآثاره في الانكليزية هي : (١) كتاب خالد (٢) اللزوميات (٣) نشيد المتصوفين (٤) تحدر البلشفية (٥) مسلك النفس (٦) وجدة (٧) بحث انتقادي أدبي

(٢) قالوا : لا يقال قلت له أن اعمل كذا ولكن قلت له اعمل كذا في المنى : « والرابع الا يكون في الجملة السابقة احرف القول فلا يقال قلت له ان اعمل . وفي شرح الجمل لابن عصفور أنها قد تكون مفسرة بعد صريح القول . وذكر الزخمشري في قوله تعالى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله أنه يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر أي ما أمرتهم الا بما أمرتني به أن اعبدوا الله . وهو حسن . وعلى هذا فيقال في هذا الضابط ألا يكون فيها حروف القول الا والقول مؤول بغيره » قلت : وأرى أن أنقل في هذا المقام على ذكر التأويل وقول ابن عصفور وابن هشام طائفة من حديث العلامة الدكتور طه حسين في مجلة ( الحديث ) في حلب

المسافر . فلن يمدل وهذا قصده وقد قال خالق الأمة العربية «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»

والحق الذي يدرسه الأستاذ الريحاني ولكن حرصه على الذي رآه أحق بالتقديم قد حمله على أن يتناساه هو : أن الانتباه الأدبي في الأمم يسبق الانتباه العلمي فهذا بناءً وذاك أساس ، وأن الأمم العربية اليوم في عهد الترجمة وعند الغرب علوم كثيرة ومباحث فيها دقيقة ، وفرض عين أن تنقلها

« اما وقد انهار أو كاد ينهار ما يسمى « بالادب الجاهلي » فقد أصبح « القرآن » الاساس الوحيد لدرس الأدب العربي من الناحية الفنية واللغوية بل من ناحية القواعد النحوية والبيانية نفسها . واذا كان القرآن الى ذلك من غير نزاع هو « المثل الأعلى » للبلاغة العربية فقد أصبح درسه من جميع نواحيه الادبية واللغوية فرضاً على كل معهد أدبي يقدر واجبه للغة وآدابها . وقد بدأت « كلية الآداب » بالفعل في هذا الدرس فطلاب السنة الثالثة فيها يدرسون القرآن درساً مفصلاً من الناحية الفنية واللغوية ومن ناحية نحوه وصرفه وتاريخه وتفسيره وما نشأ حوله من العلوم المختلفة .

وعندى أن درس القرآن على النحو الذي نهجته « كلية الآداب » سيفير في الأدب العربي شيئاً كثيراً

واستطيع ان اقول لك منذ الآن اننا قد اخذنا نلاحظ ان قواعد النحو في حاجة الى كثير من التغيير بفضل هذا الدرس ولا سيما ما يتصل من هذه القواعد بالضمائر فالظاهر أن النحويين لم يوقفوا الى وضع نحو صحيح للقرآن ، وانما وضعوا نحو متأثرين بالشعر والنثر ، نثر الخطابة ولغة التخاطب ولم يفتنوا لدقائق كثيرة في القرآن فعدت شاذة أو عدت من الخصائص المقصورة عليه او سلك في تأويلها طريق التكلف وكان أيسر من هذا كله ان يتخذ القرآن وحده اصلاً لنحو القرآن . وانتظر قليلاً فسترى الى اي حد تنتج الدراسة العلمية الصحيحة ما للقرآن وسترى كيف تظهر هذه الدراسة ما للقرآن من مكانة فنية عالية لم تعرف بعد « اه

فهل قرأت أو سمعت أصح من هذا الحديث ؟

العربية ، وأن يفقهها نشؤها ، ولن تفهم ولن تفيد حتى تصحَّ ترجمتها .  
ولن يستطيع احتواء تلك العلوم ومعانيها إلا اللغة القرآنية العلمية إلا اللغة  
الصحيح تركيبها ، الكثير لفظها التي ظلَّ العلم القديم يلبسها ويوسعها ويصقلها  
أحقاباً ، وإذا لم توصل لغة علم اليوم بلغة علم الأمس ويُسْتَظْهر بهذه  
فلا علم في هذا الوقت عند العرب ومن ظن أن اللغة العامية أو هذه التي  
هي فوق العامية تقدر أن تعيَ علومَ العرب وتضم عباراتها تلك المعاني  
الجديدة الأوربية فظنه عجيب

وإذا كان القصد أن يُترجم القول الغربي بعبارة من العبارات  
( والتفهم على الله ) فالله قادر أن يَقِفْنَا على ( مقالة انشتين ) التي لم يفهمها  
من علماء الأرض إلا ستة أو سبعة من دون أن يزجج التراجم أنفسهم  
بنقلها « فأنما يقول للشئ كُنْ فيكون<sup>(١)</sup> » ولكن الله لن يقول هذا وليس  
من عمله أن يتصدى لحل الأغاز وتفهم الناس إياها



نرجع الى تلك الكتب العربية في العلم فنصل ما قُطِع ، ونستعين بما  
نجد ، ونبنى لغة العلم اليوم على لغته بالأمس ( كما ذكرت آنفاً ) فيبين العلم  
ويدركه طالبة ، وتصبح العرب ولهم علم ولغة علم

---

(١) قال العكبري معرب الكتاب : « الجمهور على الرفع عطفاً على يقول أو على  
الاستئناف أي فهو يكون وقرئ بالنصب على جواب لفظ الأمر وهو ضعيف »

## العربية في المدرسة

قلت هذه الخطبة في مؤتمر رؤساء المدارس في معارف فلسطين

في ٢١ نيسان سنة ١٩٢٧

اللغةُ هي الأمةُ والأمةُ هي اللغةُ وضعفُ الأولى ضعفُ الثانية . وهلاكُ الثانية هلاكُ الأولى . وكلُّ قبيلٍ حريصٌ ( وقد كان في هذه الدنيا ) جدُّ حريصٍ على أن يستمرَّ كونه وعلى الأبيد . فهو مستمسكٌ بلغته للاحتفاظ بكيئوته . واللغة ميراثُ أورثه الآباءُ الأبناء . وأحزمُ الوراثِ صائ ما ورت . وأسفهم في الدنيا مضيع .

وإنّا ( أمم اللسان الضادى ) لعربٌ وإن لغتنا هي العربية . وهي الإِراثُ الذي ورثناه . وإنّا لحقيقون والآباء هم الآباء . واللغة هي تلك اللغة بأن نقي عربية الجنس وعربية اللغة نقي العريتين مما يَضيرهما أو يوهنهما وليس ثمةً صادُّهما نريد . وليس ثمةً دَامَ

ولو كان المورثون صغاراً ولو كان الميراثُ حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه . فكيف والتاريخُ يقول : إن الآباء كانوا كراماً . وإن الآباء كانوا عظاماً . وكان لهم الخلقُ المتين الجيد ، وكان لهم السلطان القوي والسؤدد . وكانوا الأئمة في العلم وكانوا الأئمة في الحكمة فقرأ كتب علمهم وأقرأ كتب حكمتهم

والزمانُ يقول : إن العربية خيرُ ما صنعت يداي (وإن الدهر لَصَنَعُ) وإنها خيرُ طرفةٍ أطرقتها الناسَ . والزمانُ بالخير (وإن جاد) شحيح . فالعربيةُ الصنعُ العبقريُّ للدهرِ والعربيةُ الدرّةُ اليتيمةُ أو كنزُ الزمانِ ضنَّ به كلُّ الضنِّ ثم سخا

وإذا كان للنفوسِ العربيةِ في الجزيرةِ وهي نفوسٌ تجسّمت من القوةِ أو تكوّنت منها القوةُ وهي نفوسُ تعالت وتمزّزت فنشأت في الدنيا ألفاظُ العلوِّ والعزةِ وهي نفوسُ صفت وصرّحت وما صفاءُ سواها وصراحتُ في صفائها وصراحتها إلا كدرٌ ولبسٌ

إذا كان لهنّى النفوسِ فضلٌ على لغتها إذ كانت منجمها الذي منه بدت . فلهذه اللغةِ البيّنةُ المحكّمةُ فضلٌ على تلكِ النفوسِ . فقد أعطى بيانُ اللغةِ وإحكامها أهلَ اللغةِ ما أخذته منهم وقد أحسنَ الماسُ المُشيعُ إلى منجمه . فهذا كوّنُ ذاك . وذاك نوّرَ هذا

وإن العربيةَ لو لم تكن الإبداعُ كلّه . ولو لم تكن الجمالُ الأجل . ولو لم تكن اللغةُ المصطفاة . ولو لم تكُ لغةٌ عجباً ما اختارها الدهرُ لقرءانها « واللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهُ » ولم تستطعِ الفاظُها الاستقلالُ بمعانيه . وكلُّ معنى فيه يأبى أن ينزلَ إلا في أكرمِ لفظ . وكلُّ مقصدٍ من مقاصده لا يقبلُ إلا أعجبَ أسلوب . ولن ينزلَ أهلُ السماءِ إلا في ذروةِ العلياء . والكتابُ وإن علا حتى أظلَّ ( سدرّةُ المنتهى ) قد أدناه وقد جلاه نورُ بيانه حتى أرانا إياه . والشمسُ قد علت وقد ابتعدت وهل يُحيي وهل يضيء هدى الأرضَ إلا الشمسُ

تلكم الأمة العربية ، وتلكم اللغة العربية . وذلكم كتابها . والأمة عجيبة . واللغة عجيبة . والكتاب عجيب . وقد مشينا في هذا الكون يهديننا كتابنا . ويسوقنا خلقنا وبنينا فيه البنيان فأغربنا . وقلنا القول فأبدعنا . فدهش الرأي وحر السامع . وكان ذلك الخلق يدفعنا إلى الخير فنندفع فيه . وكان الكتاب يأمرنا بالعمل الصالح فنلبيته . وكان اللسان فصيحاً . وكان اللسان بليغاً ( والفصاحة هدى والبلاغة نور ) وكنا إذا قلنا أبنياً . وكنا إذا كتبنا أوضحنا . وكنا إذا استمددنا العربية ( وهي ذات الأمداد في اللفظ والأسلوب ) أمدت

وقد تكاثرت عليها قديماً علوم الأمم فرحبت بها كلها . وأعطت كل علم مطلوبه . وذو الثراء الكريم يجود . والضعف عند الشحيح العاجز . وكان كتاب العربية يحدو أهل العربية على كل علم وفي الكتاب :  
« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

فكأني من عالم في الزمان الأول في العربية قد نبغ . وكأني من كتاب رصين قد كتبت . وكأني من دار علم قد شيدت . وأثر العرب الخالد شاهد .  
فسل الآثار عن أقدار أهلها تُنبئك

كنا الأقوياء وكنا الحكماء وكنا البلغاء . ثم فقدنا ذلك الخلق ولا تسلى كيف فقدنا ذلك الخلق فتعذب القلب الكليم القلب الجريح عذاباً أليماً وتسعر فيه بالذكرى جحيماً . فلا تسلى كيف فقدنا ذلك الخلق

قد فقدنا ذلك الخلق فقدنا القوة وفقدنا الحكمة وعي اللسان الناطق  
قدماً . ونسينا عربيتنا . نسينا كينونتنا . وما حياة القبيل لا قوة له ؟ وما  
حياة القبيل لا علم لديه ؟ وما حياة القبيل قد ضيع لغته . وفقد كينونته ؟  
فقلّ عربي يشعر حقاً بعربيته — بكونه عربياً

فلا تقم يا هذا في كل حول ماتماً على قتيل قتل وميت مات وأقم الماتم  
كل يوم على خلقٍ عربي كريم فقدناه . وسلطانٍ عظيمٍ أضعناه . بل  
لا تبكين هذا ولا ذاك فقلّ جداءً عنك بكاءً وما نفع في حين نادياً  
ميتاً ندبُ

وما يدرك الحاجات من حيث تُبتغى من الناس إلا من أجددٍ وشمراً  
نريد خلقاً عربياً نريد قلباً عربياً نريد لغةً نريد لساناً ينطق  
بالحق نريد لساناً ينطق بالعلم

فمن يُكوّن هذا الخلق ؟

ومن يذكر العربي بعربيته ؟

ومن يصلح لساناً قد فسد ؟

ومن يبيع نفسه في سبيل الله ؟

وأين المعقلُ الحصين تلجأ إليه العربية ؟

وأين المصنع الكريم يُبدى فيه الصانعون الصنع المنشود ؟

وأين دار الأمل تلوذُ بها النفوس المكتتبة القانطة ؟

من المكوّن ؟ من المذكر ؟ من المصلح ؟ من البائع نفسه في  
سبيل الله ؟

وأين المعقل ؟ أين المصنع ؟ أين الدار دار الأمل ؟

الاستاذ ، المدرسة